مساحة بيضاء

مشهد (1)

أهداها بضعًا من كلماته ذات حبّ، احتضنتها وزرعتها في قلبها، كانت ترويها بدموع يأسها وخيباتها، تطل من كل حرف فيها عيناه، السحر كله، الصدق كله يسكن في عينيه.

خصّها بهذه القصيدة محرّمًا إياها على النشر، كانت أغلى ما تملك، بل كانت كل ما تملك، وكأن الدنيا حيزت لها بحذافيرها في هذه الورقة المنثور عليها صدقاته الحبرية.

مشهد (2)

في العيد، حينما ذهب الناس لذبح أضاحيهم، التقت به في مناسبة ما، كانت صامتة كعادتها تنظر لامعة العينين، صعد على المنصة، وهي تنتظر ما سيتلوه بلهفة الجائع، الذي ينتظر حصته من الخبز؛ ليقيم بها أوده.

وإذا به يلقي قصيدتها (قصيدته) أمام الحضور متباهيًا متبخترًا منتشيًا، صفّقت له بحرارة، وهي تضحك باكية.

إعصار من الغضب، من الأسئلة، هل نسيها؟ أم نسي أنه أهداها إياها؟

كيف يغتصب ملكيتها لهديته، التي أمطرتها دموعًا وعطورًا، كيف يقتل صديقتها، التي آنستها في ليالي باردة، تحكي لها غدر الأيام، وتشكو لها قسوة الأقدار؛ لتواسيها وكأنّ كل حرف فيها يمد لها يدًا.. تربت على قلبها في حنو وطيبة، لم تطلب يوما أكثر من ذلك.

اقتربت منه باسمة، وهنأته ودعت الله أن يتقبل منه أضحيته، تعجّب قائلًا: إنه لم يضح هذا العام!

نظرت له ثم تركته ورحلت.

مشهد (3)

في البيت جلست أمام المرآة مغرورقة العينين، تنظر ذاهلة إلى الورقة التي ذاب فيها الحبر من أثر أمطار عينيها، التي غسلت الكلمات قاطبة؛ لتصير الورقة بيضاء، مجرد ورقة بيضاء رخيصة، ليس لها أي قيمة، مزّقتها وأشياء أخرى لتحاكي ممزقات كثيرة تحفل بها حياتها، لملمت كل هذه المهلهلات، وألقت بها دفعة واحدة وبكل قوة في سلة المهملات، لم تبق على قصاصة واحدة.

مشهد (4)

يوم ممطر، تقابلا، حيّته بطبيعتها المرحة وقلبها

الطيب.. تحدّثت معه في عجالة ناظرة إلى عينيْه؛ اللتين ما انفكتا ترسل لها رسائل لا يستطيع أحد غيرها فك شفراتها، كانت الرسائل تصطدم بوجهها البارد لتسقط أرضًا، وتتلوث بمياه المطر المخلوط بالأتربة، تركته، ورحلت وهو ينظر لها في عدم فهم، اختفت بين جموع البشر المهرولين طلبا للدفء.

ضاعت منه في وسطهم.. ولكنها تعرف طريقها جيدًا.